الخصائص الإعلامية في مصر الفرعونية في عهد موسى(عليه السلام) من خلال القرآن الكريم

إعداد

د. محمود محمد فهمي

الملخص:

هذا بحث موجز يتناول الخصائص الإعلامية في مصر من خلال القرآن الكريم، وتحديدًا في عصر فرعون موسى(عليه السلام) ، ويتكون من ثلاثة مطالب على النحو التالي:

- المطلب الأول: التأثير على الرأي العام واستقطاب الناس لرأي الدولة.
- المطلب الثاني: إلهاء الناس عن القضايا الأساسية في الدولة.
- المطلب الثالث: تهييج الأوساط الرسمية والشعبية ضد الدعوة.

واتضح من خلال الدارسة ما يلي:

١ – الدور المؤثر للإعلام في صياغة عقول الجماهير العريضة من الشعب.

٢ – قدرة الإعلام على تقرير إرادة الدولة ومساندتها أو مناوئتها ومعارضتها .

٣ – المساهمة الفعالة للإعلام في البناء والهدم لمقدرات الدولة، وكذلك المشاركة في ترسيخ أو حَلْحَلَة السلم الاجتماعي في الدولة.

الكلمات المفتاحية: الخصائص، الإعلامية، القرآن الكريم.

Summary

This is a brief research that deals with the media characteristics in Egypt through the Holy Qur'an, specifically in the era of Pharaoh Musa , and it consists of three demands as follows

The first demand: influencing public opinion and attracting people to the opinion of the state

The second demand: distracting people from the basic issues in the state.

The third demand: agitating the official and popular classes against the case.

- The study revealed the following:

١ - The influential role of the media in shaping the minds of the broad masses of the people.

٢- The ability of the media to determine the will of the state and support or oppose it.

٣- The effective contribution of the media to building and destroying the capabilities of the state, as well as participating in the consolidation or dissolution of social peace in the state.

المطلب الأول: التأثير على الرأي العام واستقطاب الناس لرأي الدولة

فدولة فرعون أرادت أن تأثر على الناس من خلال تسليط الضوء على بطلان دعوة موسى(عليه السلام) وتسخير كل أمكانيات الدولة المتاحة من أجل ترسيخ هذه الفكرة في أذهان وعقول وقلوب الناس، وصرفهم عن التأمل في مصداقية هذه الدعوة التي جاء بها موسى(عليه السلام).

قال تعالى (فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوم مَّعلُوم (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَل أَنتُم مُّجتَمِعُون (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلغَٰلِبِينَ (٤٠))[١]. فموسى(عليه السلام) إسرائيلي ساحر عليم متمكن من سحره، يحول العصا إلى حيَّة، وهو ليس رسولًا كما يزعم، وهو يريد استغلال الدين لمصلحته الشخصية، وهو مُخَرِّب مفسد يريد تخريب الوطن وإخراج أهله منه والقضاء على منجزات فرعون وملئه الكبيرة [٢].

هذه هي الجملة الإعلامية التي قام بها الملأ، وهذه هي الصورة التي قدَّموا موسى(عليه السلام) للناس من خلالها، وهكذا صوَّروا الخلاف بين موسى(عليه السلام) وبين فرعون[٣].

ونعرض هنا لعدد من النقاط على النحو التالي:

* النقطة الأولى: دلالة الفاء في قوله: (فَجُمِعَ):

قال ابن عاشور:" دلَّت الفاء على أنَّ جمع السحرة وقع في أسرع وقت عقب بعث الحاشرين حرصًا من الحاشرين والمحشورين على تنفيذ أمر فرعون"[٤].

---

[١] **سورة الشعراء (٣٨ : ٤٠).**

[٢] **القصص القرآني: د. صلاح الخالدي، ج (٢) / ص (٣٤١ : ٣٤٢).**

[٣] **المصدر السابق، ج (٢) / ص (٤٣٢).**

[٤] **التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج (١٩) / ص (١٢٥).**

وإن دلَّ هذا الإسراع في جمع الحشود من السحرة فإنما يدل على حرص صُنَّاع القرار على ترسيخ هذه الفكرة التي روجتها الدولة تجاه موسى(عليه السلام) وتسخير أبواقها الإعلامية من أجل التمكين لذلك في قلوب وعقول الناس.

* النقطة الثانية: دلالة الاستفهام في قوله:(هَل أَنتُم مُّجتَمِعُون):

قال الزمخشري: " (هَل أَنتُم مُّجتَمِعُون) استبطاءٌ لهم في الاجتماع، والمراد منه: استعجالُهم واستحثاثهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت مُنطلِق إذا أراد أن يحرِّك منه ويَحُثَّه على الانطلاق، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف"[١].

* النقطة الثالثة: المراد بالاتباع في قوله: (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ) :

قال ابن عطية:" وقوله: (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ) ليس معناه نتبعُهم في السحر، إنما أراد ما معناه: نتبعهم في نصرة ديننا ومِلَّتنا والإبطال على مُعارِضها "[٢].

وقال البيضاوي:" والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع، ومقصودُهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى(عليه السلام) لا أن يتبعوا السحرة؛ فساقوا الكلام مَسَاق الكناية؛ لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى(عليه السلام) "[٣].

* النقطة الرابعة: دلالة الإتيان بـ (إن) في قوله تعالى:(إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ):

قال ابن عاشور:" وقد جيء في شرط (إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ) بحرف (إن)؛ لأنها أصل أدوات الشرط، ولم يكن لهم شك في أنَّ السحرة غالبون. وهذا شأن المغرورين بِهَوَاهَم العُمْي عن النظر في تقلبات الأحوال أنهم لا يفرضون من الاحتمالات إلا ما يوافق هواهم، ولا يأخذون العُدَّة لاحتمال نقيضه"[٤].

---

[١] **الكشاف: الزمخشري، ص(٧٥٩)، و أنوار التنزيل: البيضاوي، ج (٤)/ ص (١٣٧)، والبحر المحيط: أبو حيان، ج (٧) / ص (١٥)، و مدارك التنزيل: النسفي، ج (٢) / ص (٥٦٢).**

[٢] **المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ص (١٣٩٩).**

[٣] **أنوار التنزيل: البيضاوي، ج (٤) / ص (١٣٧ : ١٣٨).**

[٤] **التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج (١٩) / ص (١٢٦).**

وخلاصة القول:

فقد تكفَّل فرعون والملأ بمواجهة موسى(عليه السلام) الساحر – بزعمهم – والقضاء عليه، وقد حشدوا وحشروا له السحرة من مختلف المدائن ولم يكن لديهم شك في أنه سوف يهزمه هؤلاء السحرة ويقضون عليه، وما على الناس إلا انتظار الميقات المعلوم القادم ومشاهدة هذه المباراة الحاسمة المثيرة والفرح بانتصار السحرة على موسى(عليه السلام)، وسوف يتخلص الوطن بفضل حكمة فرعون وملئه من مشكلة فرعون بعد ذلك[١].

المطلب الثاني: إلهاء الناس عن القضايا الأساسية في الدولة.

صارت قضية موسى(عليه السلام) مع فرعون هي شغل الناس الشاغل، وحديثهم في مجالسهم، ومحلَّ نظراتهم وتحليلاتهم، سواءً كانوا من المصريين أو من الإسرائيليين[٢].

وصار تحديد موعد مباراة موسى(عليه السلام) مع السحرة موضع اهتمام الناس، ينتظرون تجميع السحرة وقدومهم إلي العاصمة، ويتلهَّفون لموعد المباراة المثيرة [٣].

وقد حكى لنا القرآن الكريم موعد المباراة الحاسمة التي ألهت الناس وأشغلتهم في قول موسى(عليه السلام) لفرعون عندما طلب منه تحديد موعدها: (قَالَ مَوعِدُكُم يَومُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحى) [٤]، ونلحظ من الآية دقة هذا الموعد حيث يوم الزينة ذلك اليوم المقدس عند المصريين وقت اشتداد ذروة اجتماع الناس وقت الضحى، وكان موسى(عليه السلام) يهدف من وراء تحديد هذا الموعد إلى رؤية أكبر قدر من حشود الحاضرين إظهار الله آياته

---

[١] **القصص القرآني: د. صلاح الخالدي، ج (٢) / ص ٤٣٢).**
[٢] **القصص القرآني: د. صلاح الخالدي ، ج (٢) ، ص (٤٣٢).**
[٣] **نفسه، ج (٢) / ص (٤٣٣).**
[٤] **سورة طه (٥٩).**

القاطعة على يد نبيه (عليه السلام) ، بينما رأى فرعون وملؤه الفرصة في هذا الموعد مواتيةً للاحتفال في هذه المناسبة بالانتصار الساحق الماحق على موسى(عليه السلام) والتخلص منه إلى الأبد.

ونعرض هنا لعدد من النقاط على النحو التالي:

* النقطة الأولى: القول في يوم الزينة:

أورد البغوي في ذلك أقوالًا ثلاثة:

– القول الأول: كان يوم عيد لهم، يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة.

– القول الثاني: هو يوم النيروز.

– القول الثالث: يوم عاشوراء[١].

– تعقيب:

أولى الأقوال هو القول بأن يوم الزينة كان يومًا يحتفل به المصريون سنويًا، ويتزينون فيه بكامل زينتهم، وقد يكون هذا اليوم هو يوم النيروز وقد لا يكون؛ لأنه لا دليل على تحديده بشيء معين – والله أعلم –.

* النقطة الثانية: الحكمة من المواعدة في ذلك اليوم:

قال القرطبي:" وإنما واعدهم ذلك اليوم؛ ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد وفي المَجمع الغاضَّ؛ لتقوى رغبةُ منْ رَغِبَ في الحق، ويكلَّ حَدُّ المبطلين وأشياعهم، وَيَكْثُر التحدُّثُ بذلك الأمر العام في كل بَدْوٍ وحضرٍ، ويشيع في جميع أهل الوَبَر والمَدَر"[٢].

---

[١] **معالم التنزيل: البغوي، ص (٨٢١).**

[٢] **الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج (١٤) / ص (٨٦ : ٨٧).**

وقال أبو السعود:" وإنما خَصَّه (عليه السلام) بالتعيين؛ لإظهار كمال قوته وكونه على ثقه من إمره وعدم مبالاته بهم؛ لما أن ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم"[١].

* النقطة الثالثة: سبب تعيين وقت الضحى لهذه المواعدة:

قال القاسمي:" ليكون الأمر مكشوفًا لا سُتْرَة فيه "[٢].

وقال القنوجي:" والمعنى: يُحْشَرون إلى العيد وقت الضحى نهارًا وينظرون في أمر موسى (عليه السلام) وفرعون جهارًا ؛ ليكون أبعد من الرِّيبة، وأبين لكشف الحق، وليشيع في جميع أهل الوَبَر والمَدَر "[٣].

وخلاصة القول:

من أجل إشغال الناس عن القضايا الأساسية للدولة وجعل تركيزهم منصبًا على مباراة السحرة مع فرعون فقد التقى فرعون بالسحرة لقاءًا خاصًا، واجتمع معهم اجتماعًا مغلقًا، وتحدث لهم عن قضية موسى(عليه السلام)، وكرَّر على مسامعهم اتهامه بأنه ساحر يريد تخريب البلاد، وبيِّن لهم أنه استدعاهم لأنهم أعلم من موسى(عليه السلام) بالسحر، وأنه لا يقضي على موسى إلا هم، وسوف يقدمون للبلاد خدمة جليلة في تخليصها من فتنة موسى(عليه السلام)[٤].

---

[١] **إرشاد العقل السليم: أبو السعود العمادي، ج (٦) / ص (٢٤).**

[٢] **محاسن التأويل: القاسمي، ج (٧) / ص (١٣٠).**

[٣] **فتح البيان: القنوجي، ج (٨) / ص (٢٤٦).**

[٤] **انظر: القصص القرآني: د. صلاح الخالدي، ج (٢) / ص (٤٣٣) بتصرف يسير.**

المطلب الثالث: تهييج الأوساط الرسمية والشعبية ضد الدعوة

تبنَّى فرعون سياسات عديدة في محاربة الله ، ولم يَأْلُ جهدًا في مقاومتها. ومن أبرز السياسات هذه سياسة تشوية صورتها وعرضها على الناس بصورة قبيحة منفِّرة مشككِة؛ حتى تفقد هذه الدعوة القدرة على استمالة الناس والتأثير فيهم، فكال فرعون لهذه الدعوة أنواع الاتهام في هدفها ووسائلها وللداعية في شخصه؛ حتى لا يبقى للدعوة وجه تقابل الناس به، فهي بذلك مشبوهة الهدف والوسائل والأفراد والمنتسبين[١].

وقد عمل فرعون على تهييج الأوساط الشعبية والأوساط الرسمية ضد هذه الدعوة. قال تعالى (قَالَ لِلمَلَإِ حَولَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيم (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخرِجَكُم مِّن أَرضِكُم بِسِحرِهِۦ فَمَاذَا تَأمُرُونَ (٣٥))[٢].

فالملأ هم كبار رجال الدولة الذين يتولون إدارة شئون الحكم وقيادة الرعية باسم فرعون والتأثير على الناس، وهؤلاء الملأ حريصون على البقاء مع فرعون لتحقيق المصالح وجَنْي المكاسب، وحريصون على الوقوف أما كل مَنْ خالف فرعونأو خرج عليه، وقد لمس فرعون بخبثه هذا الجانب عند الملأ، فقال لهم: إن موسى بدعوته يريد أن يخرجكم من أرضكم[٣] ويقلب عليكم مناصبكم ويزيلها بها جميعًا؛ فأثار بذلك حفائظهم واستجلب عداوتهم لدعوة موسى(عليه السلام) [٤].

وقال تعالى (قالَ فِرعَونُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبلَ أَن ءَاذَنَ لَكُم إِنَّ هَٰذَا لَمَكر مَّكَرتُمُوهُ فِي ٱلمَدِينَةِ لِتُخرِجُواْ مِنهَا أَهلَهَا فَسَوفَ تَعلَمُونَ (١٢٣)) [٥].

---

[١] **شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني: رأفت المصري، ص (٢٩٤).**

[٢] **سورة الشعراء (٣٤ : ٣٥).**

[٣] **القصص القرآني: صلاح الخالدي ، ج (٢) / ص (٤٢٢)، و شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني: رأفت المصري، ص (٢٩٧).**

[٤] **شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني: رأفت المصري، ص (٢٩٧).**

[٥] **سورة الأعراف (١٢٣).**

فرعون – كما يظهر من النص – يَلْوِي عُنُقَ الحقيقة؛ ليهيِّج الأوساط الشعبية ضد الدعوة، فيتهما بالتآمر لهدف خبيث، هو إخراج أهل المدينة من مدينتهم[١]، وصوَّر المسألة بخلاف الواقع، فقد أوهم المصريين أنَّ موسى(عليه السلام) جاء ليُخْرِجَهم من أرضهم[٢]، مع أن القضية خلاف ذلك تمامًا، فإنه إن كان ثَمَّةَ إخراجٌ فهو إخراجٌ لبني إسرائيل من قيد العبودية لا لأهل مصر قوم فرعون؛ فاستطاع بذلك بعد أن شوَّه صورة الدعوة والداعية أن يهيج مختلف طبقات المجتمع عليها ويثيرهم ضدها، وأنَّ الله بالغ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون[٣].

*** الخاتمة والتوصيات:**

توصل الباحث إلى النتائج الثالية:

١ – ضرورة توجيه الاهتمام نحو الدراسات الإعلامية المستمدة من القرآن الكريم.

٢ – عمل دراسات عن ميثاق الشرف الإعلامي من خلال تتبُّع آيات القرآن الكريم.

٣ – دور الإعلام في بناء وهدم الدول، وتأثيره في إنجاح قرارت الدولة ومعارضتها، وقدرته على ترسيخ الاستقرار المجتمعي أو تهديده.

---

[١] **شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني: رأفت المصري، ص (٢٩٧).**

[٢] **نظرات في أحسن القصص: محمد السيد الوكيل، الدار الشامية، بيروت، دار القلم، دمشق، ط (١) ، (١٩٩٤ م)، ص (٥٦)، و شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني: رأفت المصري، ص (٢٩٧).**

[٣] **شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني: رأفت المصري، ص (٢٩٧).**

المصادر والمراجع:

- أولًا: التفاسير:

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان، ط (د . ت).

٢. البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي، دراسة وتحقيق: ش. عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).

٣. التحرير والتنوير: للإمام محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤ م).

٤. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م).

٥. فتح البيان في مقاصد القرآن: لأبي الطيب صدِّيق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، قدَّم له وراجعه: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية – بيروت، (١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م) .

٦. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، (١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م).

٧. محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي، ضبط وتصحيح: محمد باسل عيون الـسُّود، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

٨. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي ، دار ابن حزم – بيروت – لبنان، ط (د . ت).

٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، تقديم: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

١٠. معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار بن حزم – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، (د . ت).

١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان، ط (د . ت).

ثانيًا: الدراسات القرآنية:

١٢ – شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني: لرأفت المصري، تقديم: د. أحمد نوفل، دار الفاروق – عمَّان – الأردن، الطبعة الأولى، (٢٠٠٧ م).

١٣– القصص القرآني– عرض وقائع وتحليل أحداث –: لصلاح الخالدي، دار القلم – دمشق – سوريا، الدار الشامية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٤١هـ – ١٩٩٨م).

١٤– نظرات في أحسن القصص: لمحمد السيد الوكيل، الدار الشامية، بيروت، دار القلم، دمشق، ط (١)، (د . ت).